

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[105] ثمّ تخاطب الآيات الذّبيد(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يواجه أعداءه الذين يؤذونه ويظهرون اللجاجة والعناد إنّ واصل الطريق (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنّ الله عاملون وانتظروا إنّ الله منتظرون). فستعلمون من الذي سينتصر، انتظروا هزيمتنا كما تزعمون انتظاراً غير مُجد، ونحن ننتظر العذاب من الله عليكم، وهو ما ستذوقونه من قِبَلنا أو من قِبَل الله مباشرةً. وهذه التهديدات التي تذكر بصيغة الأمر تلاحظ في أماكن أخرى من القرآن كقوله تعالى: (اعملوا ما شئتم إنّ الله بما تعملون بصير)(1). ونقرأ في شأن الشيطان أيضاً (واستفز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك)(2). وبديهي أنّ لا يراد بأيّة صيغة من صيغ الأمر هنا طلب الفعل، بل جميعها جاءت للتهديد والتنديد. وآخر الآيات من هذه السورة تتحدث عن التوحيد "التوحيد المعرفي والتوحيد الأفعالي، وتوحيد العبادة" كما تحدثت الآيات الأولى من هذه السورة عن التوحيد أيضاً. هذه الآية - في الحقيقة - تشير الى ثلاث شعب من التوحيد، توحيد علم الله أوّلاً، فغيب السمّوات والأرض خاصّاً وهو المطّلع عليها جميعاً (وغيب السمّوات والأرض). أمّا سواه فعلمه محدود، وفي الوقت ذاته فإنّ هذا العلم ناشيء من التعليم الإلهي، فعلى هذا فإنّ العلم غير المحدود، والعلم الذاتي بالنسبة لجميع ما في السموات والأرض مخصوص بذات الله المقدسة.

1 - فصلت، 40، 2 - الإسراء، 64.